

المجلة

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الأعلام - الجمهورية العراقية

رئيس التحرير

عبد الحميد العلوي

المورد

المجلد الأول

١٣٩٢ - ١٩٧٢

العددان ٣ - ٤

بناء الرباعي ومعانيه في العربية

إبراهيم السمرقاني

المنحوت يأتي من مادتين ثلاثيتين على هذا النحو من الاعتباط في البناء .

وشذَّ احمد بن فارس من أصحاب المعجمات في ذكره لطريقة بناء الرباعي في «مقاييس اللغة» وسأتبغ الرباعي في هذا المعجم لاتين قول ابن فارس في طريقة البناء .

ويفرد ابن فارس لما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف أبواباً يذكرها بعد استيفاء الثلاثي . ومما جاء من ذلك وأوله باء قوله (٢) : - اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق . وذلك أن اكثر ما نراه منه منحوت . ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظه . والاصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم : حَيْمَل الرجل إذا قال حيّ على ومن الشيء الذي كأنه متفق عليه قولهم «عَبَشِي» وقوله :

وتضحك مني شيخة عبشمية

كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً

فعلى هذا الاصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول إن ذلك على ضربين : احدهما

أسهب الصرفيون الاقدمون في مادة الفعل ، فذكروا الفعل الثلاثي وابنيته وما ينصرف اليه من خصوصيات معنوية تخص وزناً دون آخر .

ثم بحثوا في المزيد الثلاثي ومعاني الزيادات ، ثم بحثوا في الرباعي المجرد . وختسوا هذا الباب بالكلام على الابنية الغريبة من الافعال . وقد فاتهم أن يبحثوا عن كيفية بناء هذه الافعال وكيف نشأت ، وهل كان الثلاثي أصلاً في البناء ، وما علاقة الثلاثي بالمادة الثنائية . كل هذا اغفله الاقدمون فكان على اهل هذا العصر أن يتموا ما لم يعرض له اولئك الاقدمون .

غير أنه لا بد من الاشارة الى أن احمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ قد اشار الى بناء الرباعي عامة في الأفعال والأسماء وان الكثير من ذلك يتم بالنحت . والنحت تركيب بطريقة خاصة لا قياس فيها ، ومثل لهذا النحت في «الصاحبي» (١) بقول العرب للرجل الشديد «ضَبَطْر» من «ضَبَطَ» و «ضَبَّرَ» وفي قولهم «صَبَّطَلِق» من «صَهَل» و «صَلَّقَ» ومن «الصَلِيد» انه من «الصَلْد» و «الصدمة» وملاك الأمر في هذا النحت أن الرباعي

(٢) ابن فارس ، مقاييس اللغة ١/٣٢٨ - ٣٣٦

(١) ابن فارس ، الصاحبي ص ٢٢٧ .

المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر الموضوع وضماً لا مجال له في طرق القياس .

فما جاء منحوتاً من كلام الرباعي اوله باء : (البلعوم) مجرى الطعام في الحلق . وقد يحذف فيقال « بُلْعُم » وغير مشكل أن هذا مأخوذ من « بَلْعَ » الا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه وهذا وما أشبهه توطئة لما بعده . انتهى كلام ابن فارس . أقول : ليس في « البلعوم » نحت على النحو الذي ذكره ابن فارس من كون المنحوت آتياً من مادتين ثلاثيتين ، وحقيقته ان الميم زيدت على المادة الثلاثية « بلع » كما تزد الميم في أواخر كثير من المواد للفرض نفسه . أما الواو فلا يدخل في مادة البناء فهو نوع من انواع المبد . ثم ذكر ابن فارس : ومن ذلك « بَحَثْرُ » وهو القصير المُجْتَمِع الخلق . فهذا منحوت من كلمتين من الباء والتاء والراء ، وهو من بترته فبتر ، كأن حُرِمَ الطول فبُتِرَ خَلْقُه .

والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، وهو من حَتَّرَ واحْتَرَّتْ ، وذلك أن لا تفضل على أحد يقال : أَحْتَرَّ على نفسه وعياله اي ضيق عليهم . فقد صار هذا المعنى في القصير لانه لم يعط ما أعطيه الطويل .

أقول : التوصل بلطف ودقة الى الاصلين اللذين جاء منهما المنحوت لا يخلو من افتيات واصطناع وذلك اننا لا نلمح المعنى لكل من الثلاثين يسر ووضوح ولا بد من التعليل والتأويل حتى يتم وينسجم لنا المعنى المتحصل الذي تحمله المادة الرباعية المنحوتة وربما كان لمح الاصل في « بَحَثْرُ » اسهل من غيره كما سرى في الامثلة التي سيأتي ذكرها .

ثم قال :

ومن ذلك (بَحَثْرَتْ) الشيء اذا بَدَدْتَهُ .
والبَحَثْرَةُ الكَدْرُ في الماء . وهذه منحوتة من كلمتين : من بحثت الشيء في التراب .

— وقد فسّر في الثلاثي — ومن البَثْر الذي يظهر على البدن وهو غري صحيح معروف . وذلك انه يظهر مفرقاً على الجلد .

أقول : ربما صعب على الباحث ان يرد هذا الفعل الرباعي الى اصله الثلاثين للعلاقة الضعيفة بين المعنى المتحصل من الرباعي « بَحَثْرُ » وبين المعنى المتحصل من كل من الثلاثين . وسنجد أن سلوك هذا السيل في اغلب المواد التي ذكرها ابن فارس لم يسلمه من الشطط والتزيد . وربما شعر بذلك ابن فارس نفسه فاحتاط في عبارته كما سنتبين ذلك . وسأعقب هذا القسم المتعلق بالمواد التي جاءت في مقاييس اللغة بالمواد الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية لاتبين طريقة البناء . ومن المفيد أن اذكر هنا ان الفعل « بَحَثْرُ » معروف في عاميتنا البغدادية على القلب المكاني^(٣) فهو « بَحَرَتْ » فماذا كان يقول فيه ابن فارس لو جاء هذا الفعل على هذه الطريقة من القلب في كلام العرب . أتراه يرد الى أصله « بحث » و « بثر » ام تراه يقول : من « بحث » و « حرث » ثم قال :

ومن ذلك (البَعَثَقَةُ) وتفسيره خروج الماء من الحوض . يقال تبعثق الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها . وذلك منحوت من كلمتين : بَعَثَقَ و بَثَّقَ ، يقال انبعق الماء

(٣) أقول : ان القلب المكاني الذي قال به اللغويون الاقدمون شيء من الوان الكلام في اللغات العامية . وعلى هذا فاني استرجح ان تكون « جيد » و « صافعه » وما الى هذا مسن الكثير الذي ورد في باب القلب ، من باب اللغات الخاصة اي ما يصطلح عليه اليوم ب (اللهجات) ذلك ان كلام العرب جرى على الفصيح المشهور وهو « جذب » و « صاعقة » ومما يؤيد هذا النظر اننا نجد هذا القلب كثيراً في عاميتنا بالقياس الى الفصيح الملبح نحو « دحَق » وفصيحه « حدَق » و « يواسي » وفصيحه « يساوي » وغير هذا .

تَفَّحَّحَ وبثقت في الماء . وقد مضى ذكره أقول :
ذكر ابن فارس ان « بثق » مضى ذكره ويقصد
في باب الثلاثي ولكنه لم يذكر معناه هناك واكتفى
بذكر المادة وكأنها من المشاهير وحقيقة البثق خروج
الماء .

ثم قال :

ومن ذلك (ابلندَحَ) وتفسيره اتسع وهو
منحوت من كلمتين من البداح وهي الارض
الواسعة ومن البَدَر وهو الفضاء البراز وقد مضى
تفسيرهما .

ثم قال :

ومن ذلك قولهم (بلطح) الرجل اذا ضرب
بنفسه الارض فهي منحوتة من بَطَّحَ وأَبْلَطَ اذا
لصق ببلاد الارض .

أقول : اجرى ابن فارس هذا الفعل على انه
منحوت والنحت عنده مادة ضخمة تدخل في الكثير
مما زاد على الثلاثة . وكأنه لا يريد أن يقول إن
اللام في هذه المادة طارئة وهي ابدال من الطاء
في « بطَّحَ » بالتضعيف ، فإنه حيث فك التضعيف
حصل الابدال وهذا لون من الوان بناء الرباعي
كما سنرى .

ثم قال : ومن ذلك قولهم (بزمخ) الرجل
اذا تكبر . وهي منحوتة من قولهم زمخ اذا شمخ
بأنفه ، وهو زامخ ، ومن قولهم بزح اذا
اذا تقاعس ومشى متبازخا اذا تكلف إقامة صلبه .

أقول : ان النحت قد يلحق في « بزمخ »
للعلاقة بين « زمخ » و « بزخ » دون ان يكون
في سلوك هذا السبيل من شطط .

وقال :

ومن ذلك قولهم (تبليخص لحمه) اذا
غَلَّظَ . وذلك من الكلمتين ، من اللخص وهو
كثرة اللحم ، يقال ضرع لخص ، ومن البِخَصِ
ولحمة الذراع والعين وأصول الاصابع .

وقال :

ومن ذلك (تبزعر) (٤) اي ساء خلقه .
وهذا من الزعر والزعارة ، والتبزوع ، وتبزوع
الغلام ظرف .

أقول : ان لمح النحت في هذه المادة بعيد ،
ذلك ان المادتين الثلاثيتين لا تعينان على تكوين
هذا المعنى الجديد الذي لا يلمح الى الظرف
وما يقاربه في المعنى .

ومن ذلك (البهنسة) التبخر فهو من
البهن صفة الاسد ، ومن بنس اذا تأخر . معناه
انه يشي مقاربا في تعظم وكبر .

أقول : ليس في هذه المادة الرباعية ما يقوي
القول بالنحت وذلك انه لا سبيل الى ملح مادة
(بنس) في الرباعي (بهنس) .

وقال :

ومما يقارب هذا قولهم (بلكهس) اذا
أسرع . فهو من (بهس) ومن (بلكه) وهو
صفة الابله .

ومنه (بلاص) بمعنى هرب غير أصل
لان الهزة مبدلة من هاء والصاد مبدلة من سين .

(٤) لم ترد هذه المادة في اللسان ، بل جاءت في
القاموس . واغلب الظن انها من الكلام
العامي الذي يجد في عصر دون آخر .
فمن الجائز انها لم تكن معروفة مستعملة
في عصر ابن مكرم الافريقي صاحب اللسان ،
او قل انها لم تكن معروفة في العامية المصرية
او الافريقية بوجه عام في ذلك العصر بل
كانت معروفة في المشرق ولهذا ذكرها المجدد
الفيروز آبادي الذي عرف كثيرا من ديار
المشرق . كما ذكرها ابن فارس من قبل .
ونريد ان نعلق على هذه المواد مثل « بزمخ »
و (تبلخص) و (تبزعر) وذلك انها ترد
الفاظا يتيمة في المعجم وهي تفتقر الى النصوص
المستعملة المألوفة ولم ترد حتى في الأجيل
الرجاز . وهذا يقوي مندي غاميتها وانها
موضوعة مصنوعة .

أقول : يريد أن يقول ان (بلهس) تحولت
بالإبدال الى (بلاص) .

ولا أرى وجهاً للنحت من (بهس) و(بله)
لأن مادة (بله) لا تلمح في المادة الرباعية المنحوتة .

ثم ذكر ابن فارس باباً آخر من الرباعي
فقال : (٥) ومن هذا الباب ما يجيء على الرباعي
وهو من الثلاثي على ما ذكرناه ، لكنهم يزيدون
فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة ، كما يفعلون
في (زُرْقَم) (٦) و (خَلْبَن) (٧) لكن هذه
الزيادة تقع اولاً وغير أول .

أقول : عرض ابن فارس طريقة اخرى من
الطرق التي يتم بها بناء الرباعي وهي زيادة حرف
على الثلاثة . ولكن ابن فارس يرى في هذه الزيادة
معنى من المبالغة كما مثل في (زُرْقَم)
و (خَلْبَن) وكأنه أراد أن يذهب الى القول
بأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى .

وما اظن ان هذا الرأي ينسجم تمام الانسجام
في كثير من المسائل اللغوية كما يتبين هذا من
ارادة فهم الجموع في العربية على هذا الوجه من
تعليل الزيادة غير انه من الممكن أن يقال : ان
الزيادة تؤدي فائدة معنوية بحيث تصبح الكلمة
المزيدة في كثير من الاحيان تغاير لأصلها الثلاثي
الذي جاءت منه .

قال ابن فارس :

من ذلك (البحضلة) قالوا : أن يقفز الرجل
قفزاًن اليربوع . قالبا زائدة . قال الخليل
الحافظ الذي يشي في شفه . يقال مرء بنا
يحظل ظالماً .

أقول : ان المعنى المتحصل بزيادة الباء

لا يفيد نوعاً من المبالغة ، وانما يفيد معنى آخر
لا يمكن أن يتوجه للمبالغة .

قال :

ومن ذلك (البرجمة) غلظ الكلام .
فالراء زائدة ، وانما الأصل البجم .

قال ابن دريد : بجم الرجل يجم بجموماً ،
إذا سكت من عبي أوهية فهو باجم .

أقول : وهذا مثل (البحظة) فان المعنى
المتحصل بزيادة الراء غير المعنى الاول ولا يكون
مبالغة فيه .

وقال :

ومن ذلك (بلذم) إذا فرق فسكت .
والباء زائدة ، وانما هو من لذم إذا نزم
بمكانه فرقاً لا يتحرك .

أقول : ان بين الثلاثي والرباعي علاقة بينة ،
وقد تكون هذه الزيادة مقوية للمعنى او موضحته
بشكل خاص . على ان الفعل رباعية وثلاثية ،
من النوادر التي لم يعرف لها استعمال ، وما اكرر
ذلك في المعجم القديم .

وقال :

ومن ذلك (برعم) النبت اذا استدارت
رءوسه . والاصل برع اذا طال .

وقال :

ومن ذلك (البركلة) وهو مشي الانسان
في الماء والطين . قالبا زائدة وانما هو من تركل
اذا ضرب باحدى رجليه فأدخلها في الارض عند
الحفر .

قال الاخطل :

رَبَّتْ وَرَبَا فِي حَجْرهَا ابْن مَدِينَةَ
يَنْظِلُ عَلَى مِسْحَاتِهِ يَتَرَكُّلُ

أقول : ان المعنى الجديد المتحصل بالزيادة
لا يمكن ان يكون نوعاً من المبالغة للمعنى الاول .

(١٨) في المجمل بالبدال والذال .

(٥) معجم مقاييس اللغة ١/٣٣٢-٣٣٥ .

(٦) الزرقم بضم الزاء والقاف الشديدة
الزرقة .

(٧) الخلبن بفتح الخاء والباء الخرقاء ، انظر
مادة (خلب) في اللسان .

وقال :

ومن ذلك قولهم (بَلَسَمَ) الرجل كرهه وجهه . فالميم فيه زائدة ، وانما هو من المَبْلِس ، وهو الكئيب الحزين المتدم . قال :

وفي الوجوه صَفْرَةٌ وإِبْلَاسٌ

أقول : ان زيادة الميم كِسَماً في الكلمة Suffixe كثير في الرباعي من الافعال والاسماء ، نحو صِلْدِمٍ وزَرْقَمٍ وحَلَقَمٍ وزَرْدَمٍ .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تبعثرت نفسي) فالعين زائدة ، وانما هو في الباء والياء والراء .

اقول : لا ادري كيف علل الرباعي بزيادة العين في هذا الفعل ، في حين انه قال بالبحت في (بَحَثَر) من مادتي (بحث) و (بشر) .

وليس هذا هو الصواب عندي . فان كلا الفعلين مادة واحدة فان (بشر) هي (بَحَثَر) والمسألة تتعلق بالاببدال بين الحرفين . وعلى هذا فان الاصل (بَحَثَر) ثم حصل الاببدال .

ثم يعقب ابن فارس هذا الباب بباب آخر يعرفه بأنه وضع وضعاً^(٩) وهذا التعريف المقتضب يشير الى حيرة ابن فارس في فهم هذا النوع من الرباعي ذلك انه لم يعرف الاصل الذي جاء منه ويمثل له بجملة من الامثلة التي اولها الباء ومنها : البُهْمَلَةُ المرأة القصيرة ، وحمار بُهْمَلٌ قصير ، والبُخْنُق : البرقع القصير ، البَلْعَمُ السبيء الخلق . البَهْكَةُ الرعة . بَرَشَطٌ اللحم شرشه^(١٠) بَرَشَمَ الرجل اذا وَجَمَ .

وذكر ابن فارس في كتاب التاء من معجمه في « باب ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف اوله تاء مواد منها :

(الترمطة) ، وهي اللثق والطين . وهذا منحوت من كلمتين من التَرْطُ والرَّمْطُ ، وهما

(٩) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ١/٢٢٥ .
(١٠) لم ترد هذه المادة في اللسان .

اللطخ . يقال ثرط فلان اذا لطخ بعب وكذلك رَمِطَ .

اقول : وهذه من النوادر ايضاً وما اكثر ذلك في الرباعي والخماسي . ويبدو ان الوضع او الاصطناع قد فشا في الابنية التي على اكثر من ثلاثة احرف .

وقال :

ومن ذلك (اثبجر) القوم في أمرهم ، اذا شكوا فيه وترددوا من فزع وذعر . وهذا منحوت من الثَبَجِ والثُّجْرَةِ .

أقول : الثبج معظم الشيء ووسطه ، وثبج الرجل اذا اقمى على أطراف قدميه . اما الثُّجْرَةُ في الوادي فهي وسطه وما اتسع منه . ويتبين من هذا ان كلا المادتين يفيدان شيئاً واحداً وهو الاتساع والشمول ، ولست ادري كيف تم النحت على قول ابن فارس ، وهل يشمر المنحوت بشيء من هذا المعنى . وعلى هذا فليس من الصواب القول بالنحت في (اثبجر) ، واكبر الظن انه من الموضوعات التي وضعت دون ان يكون هناك اتصال بمادة ثلاثية . ويوجز ابن فارس في كتاب الجيم من معجمه على ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف اوله جيم فيقول (١١) :

وذلك على اضرب : فمنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى مطردتي القياس . ومنه ما اصله كلمة واحدة وقد الحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله . ومنه ما يوضع كذا وضعاً .

فمن المنحوت قولهم للباقي من اصل السعفة اذا قطعت (جُذْمُور) .

قال (١٢) :

بناتين وجذموراً أقيم بها
صدرَ القناة اذا ما آتسوا فزَعَا

(١١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١/٥٠٥-٥١٣ .

(١٢) البيت لعبدالله بن سبرة يرثي يده وكانت قد قطعت . اللسان مادة (جذمر)

وكذلك من كلمتين : احدهما الجذم وهو الاصل ، والاخرى الجذر وهو الاصل .

أقول :

وكان ابن فارس قد وجد في هذه الكلمة صدق ما ذهب اليه من وجود النحت في هذه المادة فقال : الكلمة من اول الدليل على صحة مذهبنا في هذا الباب وبالله التوفيق .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للرملة المشرفة على ما حولها (جمهور) . وهذا من كلمتين من جَمَر ، . وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجَمَرَات من العرب بما مضى ذكره والكلمة الاخرى جَهَرَ ، وقد قلنا ان ذلك من العلو . فالجمهور شيء متجمع عال .

أقول : ان (الجمهور) يدل على التجمع وعلى هذا فهو الصق بـ (جمر) ولا ارى وجها ان يكون في (جمهور) مادة (جهر) التي تفيد العلو ، ذلك ان العلو لا يلحق في الكلمة المنحوتة .

والذي يبدو لي انه من (جَمُور) بتشديد الميم وتعويض الهاء من احدى الميمين ، وهذه طريقة سنجدتها في كثير من المواد الرباعية .

وقال ابن فارس : —

ومن ذلك قولهم للارض الغليظة (جَمْعَرَة) . فهذا من الجمع ومن الجمر .

أقول : هذه مادة تشعر بالنحت من الاصلين الثلاثين اللذين ذكرهما ابن فارس . وسأورد من الرباعي العامي هذه المادة وهي (جَمْعَرَة) وهي تختلف عما اثبتته ابن فارس بما نسميه بالقلب المكاني .

غير ان ابن فارس يعود ثانية الى هذه المادة فيذكر انها منحوتة ايضا . ولكنها في هذه المرة من (جمع) و (مَعَر) والمعروف هو الارض لانيات فيه . وهذا القول الثاني يدل بوضوح ان ابن فارس في حيرة ولهذا فهو متخبط متردد ، وذلك

ان القول بالنحت أمر يلحق بالنظر الصائب ، واللفظ في تناول المواد ، وان افتقر الى القياس والتقدير ، ولهذا فقد كان على الباحث ان يكون حذرا دقيق النظر في القول بالنحت فلا يقول به الا متى اشعر بذلك بوضوح وجلاء .

ويعود ابن فارس فيقول :

ومن ذلك قولهم للقصير (جَعْبَر) وامرأة جَعْبَرَة قصيرة . قال (١٢) :

لا جعبريات ولا طهاميلا

فيكون من الذي قبله ، ويكون الراء زائدة . أقول : ذكر ان (جَعْبَر) من مادة ذكرت قبلها وهي (جَرَعَب) التي جاءت من الجَعْب وهو التقبض والجرع التواء في قوى الحبل ، والراء زائدة . وفي كلا الكلمتين الراء زائدة . واراد ان يقول ان القلب المكاني قد دخل هذه المادة . غير ان (جَرَعَب) معناها الجافي ، وهو معنى بعيد كل البعد عن معنى (جَعْبَر) . وما اظن ان القلب المكاني يغير في معاني الالفاظ على هذا النحو من البعد .

والذي اراه ان (جَعْبَر) للقصير و (جَعْبَرَة) للقصيرة لم تخرج عن مادة (جعمر) والباء في (جَعْبَر) مبدلة بالميم .

وذكر ابن فارس :

ومن ذلك قولهم للحجر (جَنْدَل) . فمكن ان يكون نونه زائدة ، ويكون من الجَنْدَل وهو صلابة في الشيء وطي وتداخل ، يقولون خلق

(١٢) الرجز لرؤبة من ديوانه ١٢١ واللسان جعبر طهمل) .

ويبدو لي ان مقالة الاقدمين بنسبة الوضع والاصطناع اللغوي لرؤبة وابيه المعاجز لها ما يقويها ، وهو ان كثيرا من الغريب الذي جاء في ارجازهما لم يعرف عند غيرهما ، وان الكثير منه اينية غريبة ليست مشهورة في نصيح العربية وربما افتقرت الى خصائص الفصاحة الاخرى .

مجدول • ويجوز ان يكون منحوتا من هذا ومن الجند ، وهي ارض صلبة • فهذا ما جاء على المقاييس الصحيحة •

أقول : قوله : ان يكون نون (جندل) زائدة ليس بصحيح فهي تعويض من الدال في (جدل) بالتشديد ، فان فك الادغام يؤدي الى هذا الغرض وهو كثير في الفصحى واكثر منه في العامي •

وسرى ذلك عند الكلام على الرباعي العامي ثم يختم ابن فارس كتاب الجيم بالمواد التي وضعت وضعا وهي تلك التي لا يقول في بنائها شيئا ومنها : -

المجلى الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه •
أقول : هذا البناء من الابنية العربية فان (اجلنظي) ليس على صيغة معروفة مشهورة وهو من الفرائد الغرائب ، ومثل ذلك قولهم (اسلنقي) في المعنى نفسه و (اجنظي) للنتفخ بطنه • والذي اراه ان هذه الافعال مما لاتدع شكاً في ان الوضع والاصطناع قد حدثا في العربية وان شيئا كثيرا من ذلك كان من صنعة اللغويين ومثل هذا المجلعب والمجلخيد للستلقي ايضا •

ويذكر ابن فارس في كتاب الحاء ما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة احرف (١٤) ما يأتي :
ومنه (الحلقوم) وليس ذلك منحوتا ولكنه ما زيدت فيه الميم ، والاصل الحلق • والحلقمة قطع الحلقوم •

أقول : هذا صحيح وزيادة الميم في هذه المادة واضحة ولكن ما بال ابن فارس لم يقل هذه المقالة في (بلعوم) وحسبها مما زيد فيه الواو والميم • وليس كذلك فان حروف المد لا تعتبر من ابنية الاسماء اذ لو كانت منها لكانت حلقوم خماسية وليست رباعية وهذا خلاف ما اتفق عليه •

(١٤) مقاييس اللغة ٢/١٤٣-١٤٨ •

وقال :

ومنه (المَحْلَقِينَ) من البسر وذلك ان يبلغ الارطاب ثلثه وهذا ما زيدت فيه النون ، وانما هو من الحلق ، كأن الارطاب اذا بلغ ذلك الموضع منه فقد بلغ الى حلقه • ويقال له الحلقان، الواحدة حلقانة •

أقول : كما يزداد الميم في آخر المواد الثلاثية لتكون رباعية كذلك يزداد النون في مواد كثيرة من اجل هذا والفصيحة في هذا مثل العامية كما ستبين ذلك في عرضنا للرباعي العامي •

وقال :

ومن ذلك (احرنجم) للابل ، اذا ارتد بعضها على بعض ، واحرنجم القوم اذا اجتمعوا • وهذه فيها نون وميم ، وانما الاصل الحرج ، وهو الشجر المجتمع الملتف •

أقول : وهذا الفعل من الافعال التي كثر الاستشهاد بها في كتب الصرف واللغة ولكنها افتقرت الى الاستعمال المشهور ، والزيادة كما ذهب ابن فارس واضحة بينة • واريد أن أزيد شيئا وهو ان الفعل معروف في العامية البغدادية ، وعند العامة ان (حرجم) معناه ثبت في مكانه دون حراك ولا يقوى على عمل أي شيء ، وفي هذا المعنى لمح شيء من معناه في اللغة الفصيحة •

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (تحترش) القوم : حشدوا والتاء فيه زائدة وانما الاصل الحرش والتحريش • وفيه ايضا أن يكون من حتر وأصله حتر الخيمة وما اطاف به من اذيالها فكذلك هؤلاء تجمعوا واطاف بعضهم ببعض فقد صار الكلمة اذا من باب النحت •
أقول : لم يكن ابن فارس على بينة من هذا الفعل فيينا هو قال بزيادة التاء عاد فمال الى القول بالنحت وللتوصل الى القول بالنحت سلك سبيلا غير مهده وتشبث بالضعيف من العلاقات المعنوية •
وعندي أن زيادة التاء أمر صحيح يدل عليه أنهم قالوا : حرشت بينهم اذا اغريت وألقت العداوة •

ومن المفيد أن نذكر أن الفعل (تحترش) موجود في العامة العراقية ومعناه قريب من (حرئس) المذكور وهو التقرب من احد من الناس بقصد الاذى وإثارة العداوة والبغضاء .

وقال ابن فارس في كتاب الغناء مما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف (١٥) ومنه (المخرنظم) الغضبان وهذه منحوتة من خطم وخرط ، لان الغضوب خروط راكب رأسه . والخطم : الاتف ، وهو شمع بأتفه . قال الراجز في المخرنظم :

ياهيء مالي قَلِقَت محاورى

وصار أمثال الفعا ضرائرى

مخرنطام عئسراً عواسرى

والمخرنشم مثل المخرنظم .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (خردلت) اللحم : قطعته وفرقه . والذي عندي في هذا أنه مشبه بالحب الذي يسمى الخردل ، وهو اسم واقع فيه الاتفاق بين العرب والعجم وهو موضوع من غير اشتقاق . ومن قال خردل جعل الدال بدلاً من الدال . أقول : هذه طريقة من طرائق صوغ الرباعي وهو اشتقاقه من أسماء الاعيان كما اشتق (خردل) من الخردل ، و (فلفل) من الفلفل ، و (نرجس) من النرجس و (يرناء) من اليرناء .

وقال :

ويقولون (خلبص) الرجل اذا فرء والباء فيه زائدة وهو من خلص ، وقال :

لما رأني بالبراز حصصا

في الارض منى هرباً وخببصاً

أقول : يبدو لي أن الباء غير زائدة ، وان اللام هي الزائدة والاصل خلبص لا خلص ،

وفي (خبص) معنى الخلط والحيرة والذي يخبص هو الذي اختلط عليه الامر . وقول الراجز :

... ..

في الارض منى هرباً وخببصاً

يتخرج على هذا المعنى من الخلط والحيرة لا فرء .

وبعد فالكلمة ما يتعلقه عامة العراقيين في عصرنا في هذا المعنى الذي أشرت اليه .

وقال :

ويقولون (الخبصة) اختلاط الأمر .

فان كان صحيحاً فالنون زائدة وانما هو من

(خبص) ، وبه سبي الخبيص .

أقول : وهذا من المادة السابقة والابدال بين

اللام والنون كثير في العربية .

وقال ابن فارس :

و (الخرطوم) معروف ، والراء زائدة ، والاصل فيه الخطم .

أقول : هذا هو الوجه ، ولكن لم قال بالحث في (مخرنظم) و (مخرنشم) وكلها متساوية في كونها من اصل ثلاثي زيدت فيه الراء .

وعندي أن الراء في هذه المواد جاءت تمويضا من أحد من حرفين بعد فك إدغامهما ألا ترى أن (خطم) بالتشديد حين يفك الإدغام يحصل فيه هذه التمويض كما سنعرض لذلك في كثير من الافعال وفي كتاب الدال يذكر ابن فارس في باب ماجاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف (١٦) مادة على نحو ما ذكره في الحروف الاخرى .

وهذه المواد بصورة عامة تحلني على القول : ان معجمات العربية في هذا الباب حفلت بالغريب المهجور الذي لم يسلم من الوضع والاختراع فأنت واجد في هذا الباب كلمات يتية واقصد

(١٦) مقاييس اللغة ٢/٢٣٧-٢٤٢

(١٥) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٤٨-٢٥٤

باليثيمة ما لم تدخل في الاستعمال المشهور الفصيح، ثم إنها بعد ذلك غريبة الابنية تفتقر الى شيء كثير من تناسق الاصوات وانسجامها . لقد شك أهل البلاغة في لفظة (الهمخ) وذلك أن الكلمة الفصيحة عندهم ما تباعدت فيها مخارج الحروف كما قال الخليل .

وفاتهم أن يقولوا شيئاً في اجلنظى واحرنبى واسلنتى والجلنفع والجلخندب والبخزج والبرعيس والبرقطة والحزنبل والحبوكر والحبلق واحبنتى والخبتعة والخثارم والدلمس والدملص والدفيس والاددر نفاق والادعكار والداهكم والدغفل ومثل هذا كثير نجده في جميع كتب اللغة المطولة .

وعندي أن جل هذا مما اصطنع اصطناعاً فبقي جيس هذه المطولات . غير أنني اخترت من مجموع هذا ما توسمت الصحة فيه ولا سيما ما وجد نظيره في لغتنا الحديثة فصيحة ام عامية . وما ذكره ابن فارس من كتاب الدال من هذا الباب :

(الدعبل) وهو الجبل العظيم^(١٧) وهو منحوت من كلمتين من دبكت الشيء اذا جمعته ومن عبل .

أقول : إن هذه المادة مازالت في عاميتنا (دعبل) ومعناها كور الشيء فصار كالكرة التي تتدحرج . وفي هذه الدلالات ما يشعر ولو قليلاً بالفصيحة القديمة .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (الدعثور) وهو الحوض الذي لم يتنوّق في صنعه .

(١٧) الدعبل في المعجمات المطولة : الناقة القوية او الشارف .

وهذا مما زيدت فيه العين ، وهو من (دثر) ويجوز أن يكون من (دعث) .

أقول : وعندي أنه من (دثر) أولى وذلك لان (الدعث) الحقد وبميد هذا عن المعنى المتحصل بالزيادة . والذي يقوي عندي هذا المعنى أن المادة موجودة في عاميتنا الحاضرة (دعث) والدعثرة في لسان أهل هذا العصر عدم التنوق في المكبس كقولهم فلان مدعث بالبناء للمفعول . وذكر ابن فارس في كتاب الراء من هذا الباب^(١٨) :

(رعبلت) اللحم رعبلت اذا قطعته . قال :

تري الملوك حوله مرعبلت^(١٩)

فهذا مما زيدت فيه الباء ، وأصله من رعبل، والرعلة ما يقطع من اذن الشاة ويترك معلقاً ينوس .

أقول ان هذه المادة حية في العامية المتداولة في العراق (رعبل) ومعناها فقدان الحسن والتنوق في الملبس بحيث يبدو الرجل (مرعبل) فاقداً للرشاقة والانسجام أميل الى الضخامة والاتساع .

وجملة هذه المعاني تقوي عندي أن هذا الفعل العامي صيغ على طريقة النحت من ربك وعبل وكلا الفعلين يدلان على التجمع والكثرة والانضمام، وشيء من هذا المعنى ثابت لهذه المادة في المعجمات المطولة فالرعبلة ما أخلق من الثوب وثوب مرعبل مسزق ، وثوب رعايل أخلاق .

وقال ابن فارس :

ومن ذلك (المرجح) وهو المائل ، فالنون زائدة لانه من رجح .

أقول وهذا صحيح وزيادة النون معروفة للمصير الى الرباعي .

(١٨) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٠٩ - ٥١٠

(١٩) وبروي أيضاً مغربلة كما في اللسان (غريبل) .

وذكر ابن فارس في كتاب الزاء من هذا الباب (٢٠) :

فمن المشتق الظاهر اشتقاقه قولهم (الزُرِّم) ، أجمع اهل اللغة أن اصله من الزرق وان الميم فيه زائدة .

أقول : ان زيادة الميم في الآخر مما جرت عليه العربية وهو في الكثير الغالب يراد به نوع من المبالغة فان (زُرِّم) كما ذكر الليث (٢١) الشديد الزرقة ، قال : يقولون اذا اشتدت زرقة عين المرأة : إنها لزرقاء زُرِّم . وزيادة الميم في آخر الكلمة مما جرت عليه العربية طبيعةً وذلك أن الميم مما يحسن أن يوقف عليه . وكما تزداد الميم في الآخر تزداد في حشو الكلمة نحو : (ازمهراً) في قولهم : ازمهّرت الكواكب أي ازهرت ولمعت .

ومثل هذا (زمجر) فهي من غير شك من (زجر) .

وفي كتاب السين ورد :

(اسلهم) اذا تغير لونه فاللام فيه زائدة ، وانما هو من سَهَمَ وجهه يسهم اذا تغير والاصل السهم .

أقول : مثل هذا الفعل ما نجد في العامية الحديثة وهو (سَلِّهم) والمعنى واحد .

ومن ذلك (السِرِّطيم) الواسع الحلقق والميم زائدة وانما هو سَرَط اذا بلع .

أقول : هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من زيادة الميم في الآخر للمبالغة .

وهكذا يستمر ابن فارس في ذكر ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة احرف مبوبة ذلك على الاحرف التي تبدأ بها المواد .

وقد قلت : ان ابن فارس قد قال بالنحت في كثير من المواد ، ولكنه مع ذلك يقف حائراً في

مواد كثيرة ايضاً ينعتها بانها وضعت وضماً ، ومعنى ذلك انه لم يَرَ وجهاً من وجوه البناء وصيرورتها على أكثر من ثلاثة احرف .

ومن الجدير بالذكر ان كثيراً من الافعال الرباعية مما جرى على السنة العامة في بغداد او في غيرها من صنع المعريين انفسهم . أقول من صنعهم لانه لا نستطيع أن نعرف اصول تلك الافعال الرباعية ولا ما يقرب منها في الفصح المشهور ، فقد ينطلق أحدهم ببناء من اربعة احرف على (فَعَلَّلَ) يتصور فيه صاحبه ان عدة هذه الاصوات على هذا النحو تفيد اللفظ والهدر او ما أشبه ذلك ، ربما كان هذا المعنى من باب حكاية الاصوات التي جرى بها اللسان .

وأنا لا اشك في ان الغرائب من المواد في العربية التي لم تخرج الى الاستعمال المشهور مصنوعة موضوعة ، وعلى هذا نستطيع ان نفر كثيراً من الرباعي العامي الذي ينطلق به اللسان ثم يكتب له الشيوخ .

واذا احلنا النظر في « الجمهرة » (٢٢) لابن دريد وجدنا مادة غريبة ذات ابنية غريبة وان معنى واحد تتوارد عليه مئات من الالفاظ ، فاذا اخذنا شدة الخلق وقوة البناء في الانسان والحيوان كالجمل والناقة على سبيل المثال ، وجدنا طائفة كبيرة من الالفاظ تتناول هذا المعنى وليست (الجمهرة) بدعا بين كتب العربية فهي كلها تحوي من هذا الغريب الشيء الكثير .

ويبدو ان شيئاً من هذا الغريب الذي لا يدل الا على معانٍ يسيرة موضوع مفتعل ، وقد اورد السيوطي (٢٣) طائفة من هذا ما روي ولم يصح ولم يثبت والسبب في عدم ثبوت هذا النوع عدم اتصال سنده لسقوط راو منه ، او جهالته ، او عدم الوثوق بروايته لفقد شرط القبول فيه . والسيوطي ينقل هذه الالفاظ من (الجمهرة) .

(٢٢) ابن دريد الجمهرة : الجزء الثالث

(٢٣) السيوطي ، الزهر ١/١٠٣ .

(٢٠) معجم مقاييس اللغة ٢/٥٢-٥٥ .

(٢١) اللسان (زرِّم) .

وكان ابو منصور الازهري صاحب « التهذيب »
قد ذكر في « مقدمته » (٢٤) :

ومن ألف في زماننا الكتب فرمي بافعال
العربية وتوليد الالفاظ ، وادخل ما ليس من كلام
العرب في كلامها : ابو بكر محمد بن دريد صاحب
كتاب « الجهرة » وكتاب « اشتقاق الاسماء » ،
وكتاب « الملاحن » وقد حضرته في داره ببغداد
غير مرة فرأيتة يروي عن حاتم والرياشي
وعبدالرحمن بن اخي الاصمعي . وسألت ابراهيم
ابن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ، ولم يوثقه في
روايته والقيته انا على كبر سنه سكران لا يكاد
يستمر على الكلام من سكره ، وقد تصفحت كتابه
الذي أعاره اسم « الجهرة » فلم أرد لا على
معرفة ثاقبة ، ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا
الكتاب على حروف كثيرة انكرتها ولم اعرف
مخارجها فاثبتتها في كتابي في مواقعها منه ، لا بحث
أنا وغيري عنها .

وقد دافع عنه السيوطي في « المزهري » (٢٥)

فقال :

« معاذ الله ، هو بريء مما رمي به ، ومن طالع
« الجهرة » رأى تحريره في روايته » . غير ان
السيوطي حين اثبت في « المزهري » أن في العربية
ما لم يصح ولم يثبت أتى بشواهد كثيرة أخذها
من « الجهرة » .

وسئل عنه الدارقطني (٢٦) : أئقة هو أم لا ؟

فقال : تكلموا فيه » (٢٧) .

وقال حمزه : سمعت أبا بكر الابهري المالكي
يقول :

(٢٤) الازهري ، التهذيب (مخطوط) المقدمة .

(٢٥) السيوطي ، المزهري ١/٩٢ .

(٢٦) هو علي بن عمر بن احمد بن مهدي ابو

الحسن البغدادي المعروف بالدارقطني

الحافظ المشهور ، المتوفى سنة ٢٨٠ ، انظر

الخطيب البغدادي ١٢/٢٤ ، ابن خلكان (نشر

محمد محي الدين عبدالحميد) ٢/٤٥٩

(٢٧) القفطي ، إنباه الرواة ٣/٩٥ .

جلست الى جنب ابن دريد وهو يحدث ومعه
جزء فيه ما قال الاصمعي ، فكان يقول في واحد :
حدثنا الرياشي ، وفي آخر : حدثنا ابو حاتم ، وفي
آخر حدثنا ابن اخي الاصمعي عن الاصمعي ، كما
يجيء على قلبه » (٢٨) .

وقال المسعودي في « مروج الذهب » (٢٩) :
واتمى ابن دريد في اللغة وقام مقام الخليل بن احمد
فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب
المتقدمين .

وبعد فاذا كان هذا مما يؤيد القول ان في
العربية الفصيحة كما أثبتتها معجمات اللغة افتعالاً
واصطناعاً وكذباً فحقيق بنا أن نقول : إن عامية
اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال .

غير ان الافتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن
كالافتعال الذي تعمده اللغويون الاقدمون وقصدوا
إليه اظهاراً للعلم وادعاءً بالمعرفة ، بل ان هذا مما
يجري به اللسان عفواً وبداهة .

(٢٨) شرح مقصورة ابن دريد للخطيب اثريزي
(دمشق ، المكتب الاسلامي) المقدمة .

(٢٩) المسعودي ، مروج الذهب ٤/٢٤٧ .

هذا البحث الكامل على نفاسته مثقل بمواعيد
كثيرة ، شاء لها الدكتور ابراهيم السامرائي
- من حيث لم يحتسب - أن يعصمها من
الوفاء . وما نظن انه استوعر تحقيقها ،
ولكن من حق « المورد » ان تسائل : لماذا
قال : « وساعقب هذا القسم المتعلق بالمواد
الرباعية التي سجلتها في العامية العراقية
لاتبين طريقة البناء » ؟ (ص ١٠٥) . ولماذا
قال : « ونريد ان نعلق على هذه المواد . . .
الخ » ؟ (ص ١٠٦) . ولماذا قال : « وسأورد
من الرباعي العامي هذه المادة وهي جعمرة » ؟
(ص ١٠٩) . ولماذا قال : والفصيحة في هذا
مثل العامية كما سنبين ذلك في عرضنا للرباعي
العامي ؟ (ص ١١٠) .

لماذا قال ذلك كله دون سند من وفاء . . .
انه وعد بالتعقيب والتعليق والعرض في مملكة
« الرباعي العامي » ، ولكنه اخلف ، وعسى
أن يكون لديه ما يبعده عن كل مظنة !!
(المورد)